الفصل الخامس

الثقافة العربية الواحدة

والتفاعل الفكري الفارسي

أ.د. شيرين عبد النعيم حسين(*)

كانت بلاد العرب والفرس منذ غابر الأزمنة مهبط حضارات الشرق التي أشرقت على فجر بلاد الغرب، ومازالت بصمات الحضارات الشرقية شاخصة، إلى يومنا هذا في الحضارة الغربية.

وقد توثقت العلاقات بين العرب والفرس بعد دخول الإسلام إيران، ولما كان الإسلام أسبق الحضارات والثقافات التي وفقت بين الوحدة والتنوع، كان إطاراً جامعاً لألوان من الشعوب والثقافات والبيئات في بوتقة واحدة تمتزج فيها الأخيلة والأفكار والقيم لتهدف في النهاية إلى هدف سام موحد.

لذا عمدت الشعوب الإسلامية إلى كتابة لغتها بالحرف العربي لما فيه من وشيجة روحية تشدها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولما ينطوي عليه من عروة تربط المجتمعات الإسلامية بثقافة الإسلام وعلومه وآدابه وفنونه، فكتبت به ما يزيد عن الستين لغة في أواسط أسيا وأقصاها كانت من بينها اللغة الفارسية وأيضاً لغات في أفريقيا.

وسوف يتناول هذا الملخص تفاعل الثقافة الفارسية مع الثقافة العربية من خلال شواهد على مختلف عصور إيران حتى العصر الحديث في إيجاز.

لقد أنجبت إيران بعد الفتح الإسلامي أعلاماً في مختلف فروع العلوم الدنيوية والدينية، أطلق عليهم أصحاب اللسانين كان لهم دور ملموس في تشييد صرح الحضارة العربية.

ففي علوم اللغة من صرف ونحو تذكر سيبويه وعبد الحميد بن يحيى وابن المقفع، وبديع الزمان الهمزاني.

(*) أستاذ اللغة الفارسية وآدابها ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

وفي التفسير الطبري ، وفي الحديث البخاري والترمزي، وفي التاريخ أيضاً الطبري والثعالبي .

وفي الفلسفة نذكر ابن سينا وفي الحكمة والتصوف الغزالي وفي الجغرافيا الاصطخري والقزويني، وفي العلوم التجريبية الخوارزمي والبيروني .

كما تفاعل الإيرانيون مع الأدب العربي، فكان لهم سبق في نظم مجنون ليلي، كأول عمل أدبي قصصي على مستوي اللغتين العربية والفارسية، وأيضاً قصة يوسف وزليخا .

كما كان للإيرانيين أيضاً تفاعل مع الشعر العربي، فأخذوا من أوزانه وقوافيه، ونظموا أشعاراً ملمعة تجمع بين شطرات الشعر العربي والفارسي تفيض رقة وعذوبة .

كما كان للإيرانيين ثقافة إسلامية زاهرة مصدرها الثقافة العربية الإسلامية في العصرين المغولي والتيموري .

وفي العصر الحديث يطالعنا الشاعر الكبير والمصلح محمد إقبال بمنظومته (جاويد نامة) أي رسالة الخلود التي نظمها متأثراً بالمعراج النبوي في القرن التاسع عشر الميلادي، يحث فيها العالم العربي والإسلامي على التحرر من الاستعمار ، والتمسك بمبادئنا وتعاليم الدين الإسلامي .

وأيضاً تفاعل الإيرانيون مع مشاهير الأدباء فترجموا عن طه حسين والعقاد وأحمد زكى والمنفلوطي وقاسم أمين وعائشة عبد الرحمن وغيرهم .

وجدير بالذكر أيضاً أن نلفت النظر إلى جمال الدين الأفغاني ذلك المصلح الكبير الذي طاف العالم الإسلامي والعربي لنشر دعوته الإصلاحية وكان من بين تلاميذه الشيخ محمد عبده .

وفي ختام حديثنا يتضح لنا مدى التفاعل الفكري بين الثقافة العربية وثقافات الشعوب الإسلامية متمثلة في ثقافة إيران تلك الثقافات التي اتخذت الثقافة العربية المنهل الأول والوحيد التي أخذت منه أس ثقافاتها وسماتها، فامتزجت هذه الثقافات في بوتقة واحدة مع الثقافة العربية على الرغم من تعددها وتباينها واختلاف المذهب والمشرب .

والله الموفق، ، ،